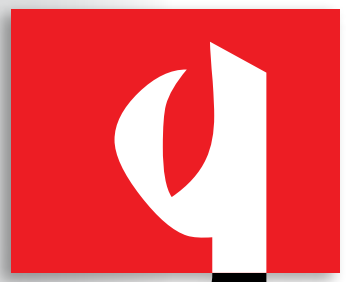


شمران الياسري

ثقافة الاحتجاج



من زمن التوهج
بإرفاق
بجون



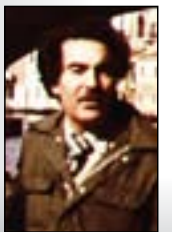
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ربح

العدد (4557) السنة السابعة عشرة
الخميس (28) تشرين الثاني 2019
WWW. almadasupplements.com

5-4

النزعة الحوارية في رباعية
أبو كاطع



شمران الياسري.. رحلتْ بقميص الوضوء

إحسان شمران الياسري

في فكرته عن الحياة، يعيشتها شمران الياسري/ أبو كاطع مثل بذرتها الأولى، حرّة، تكافحٌ لتتجدّد، تكفيها قِطرتا ماء كي تمدّ جذورها، وقطرةٍ أخرى كي تزهر. وظل هكذا، بعيداً عما ينقصُ الفِطْرَةَ، وغريباً عما يزيد من متطلباتها.. وليتني رأيتُه هيّاباً منها، أو قلّفاً عليها، لبحتُ لكم به، وفضحْتُ ادعائي. شمران.. يتقرّبُ منك ولا يسألك تصديقه، ولكنه يحزّك على الاستماع، ويضعُ الكلمة بين جفنيك كي تراها، صورةً إطارها مدلولاتها التي لا تعجزه، ويرتقي بقميصك كي تهتف بلحظة تصديقه والإبتهاج بموقفه..

كيف بدأ شمران أطروحته في فهم الحياة وإفهامها، تلك قصته التي لولاها لكان كاتباً محدوداً، وربما لم يكن. فمذ كان صبياً، اختلطت رجولته بصباه، وضاعت المسافة بينهما، فتكدست معرفته كأنها بيدر قمح يتضاعف كلما وضِع الحاصدون سنابل جديدة فوقه.. وظل هذا الدائب في عنفوان عطائه يستل من هذا

لا يترك كاتبنا، الصحفي والروائي، الساخر من تفاصيل الحياة، أصدقاء الذين يخوض معهم المعرفة، من دون أن يوصلهم إلى ما يسعى إليه من إغراقهم في شأن فكرته.. فهو لا يترك نهاية منفصلة، ولا سائبة، بل يمسك الكأس التي سقاك منها ويعيدها ممثلة بقناعك ورضاك ولذتك مما كتب..

شمران في ذكرى رحيله لم يفقد قارئه أو ناقدَه أو صديقه، ربما حصل هذا برحيل هذا القارئ وذاك الناقد والصديق، بل أضيف له قراء وتقاد وأصدقاء، وفاض ديوانه العامر بهم، وتجددت مباحثهم به..

يوم مات شمران الياسري، تفحّث الأزهار فوق مقابر عشاقه، وهم أولئك الذين كتب عنهم، أو جاب لهم فرحوا قلبه، أو أدخلهم في بواطن روابيته ليتصدوا بدلا منه في مناقحة الظلم والظالمين وفساد الفاسدين.. وتفحّث الأزهار فوق مقابر قراءه، وفوق مقابر الشهداء..

شمران.. خلّدت أرياف العراق، وبيوت القصب، وخيام الرعاة الذين يبحثون عن العشب النائي لقطعانهم.. وخلّد الفلاحون، جياة الزكاة التي فرضها على الباحثين في تاريخ العراق، والريف بالخصوص.. فما لم تقرا قصة الريف التي كتبها أبو كاطع، لن تملك صورة تاريخ العراق الحديث.. وما لم تستمع لبطولات الشجعان من أصلاء العراق البسطاء، لن تصدّق البطولات التي خاضها العراق كامة..

أو تغريدة العراقية الشامخة: ابني المضعته البارود مقطوم اعلى سركيها غم راي التحجب اهدان وتكمطه اعلى رجليها وعندما يدخل في أعماق الإنسان، وهو يكشف ما في خاطره، تجد نفسك هناك، تشترك معه في المسألة مغتبطاً أو مغموماً.. أنها فراسة لبيبة، تكشف دون أن تفضح، وتكتفي حين تبعث



احسان الياسري عند قبر ابو كاطع

ذخيرة شمران الياسري

حنون مجيد



احسان الياسري مع اصدقاءه في حفل

من بين أكثر الكتاب «الشعبيين» شعبية، يبرز اسم شمران الياسري الكاتب والصحفي الشيوعي المعروف. ولعل اقتران اسم شمران الياسري بأبو كاطع وبالعكس، اقتران لا يمكن فصمه للتوقيع المتلازم بين الاسمين والعقد المبرم بينهما على مدى مئات المقالات وعدد غير قليل من السنين. وقارئ شمران الياسري او ابو كاطع يحسّ أول ما يحسّ بالقدرة الفنية العالية التي يدير بها دقة موضوعه والغنى المعرفي الشعبي الذي يتخلله. ولا يكاد قارئ يصفاح نظره اسم ابو كاطع حتى يهرع لقراءة موضوعه باحثاً عن المفردة الشعبية العميقة، او المثل الشعبي الزاخر بالمعنى والحفوظ في ذاكرة حية وعجيبة شديدة التنوع والثرء.

ان العودة الى أمثال ابو كاطع واستشاداته وتعليقاته وثقافته الشعبية تضع القارئ أمام قاموس لغوي قل نظيره ونخيره تستدعي الحفاظ عليها قبل ان يتدركها النسيان، لأنها ايجاز لمصولات اجتماعية وترميز لمواضعات سياسية، وتكثيف لنصوص شعبية طويتها الأيام، وأمسى أمر تداولها بعيداً عن الذاكرة اليومية للناس..

شمران الياسري.. المحلق في سماء الكتابة حراً طليقاً

جمال العتابي

شهدت العقود الثلاثة (الخمسينيات، الستينيات، السبعينيات) من القرن الماضي تحولات كبيرة في ميادين الإبداع تمثلت بالماضي نحو التجديد في مناحي الحياة كافة، وفي أساليب الكتابة والسرود وتجاوز لغة الشعر وموضوعاته، والخروج على البنى والأطر التقليدية والقدرة على الابتكار ورفض كل أشكال القيود التي تكبل حرية المبدعين وفي التشكيل والموسيقى والسينما شهدت تلك السنوات تجارب عظيمة استلهمت ثقافة العصر، بملامحها الإنسانية والحضارية والجمالية، وقيم المعاصرة والحداثة، ومنجزات الفن الحديث في التكنيك واللغة والموضوع والخطاب. في خضم هذه المشهد، عاش (أبو كاطع)، وبدأ حياته يتفلسف هواء وجوده بلتقط كل دلالات ومفردات وأسرار وصور هذا المشهد بعرايقته وانتمائه اليه.. ثم ليأخذ حيزه في هذا الوسط بجدارته، انساناً، وكاتباً ومناضلاً غير متناقض مع هذا التحول الجديد في الحياة، برغم انتمائه الريفي بثقافته ولهجته، وقيمه الاجتماعية المختلفة بأسلوب الحياة والموضوع واللغة. كيف تسنى لشمران الياسري ان يحتل موقعه الإبداعي، في ظل أجواء ثقافية كانت طاردة للمبتذل والسطحي والساذج وبعضها كان رافضاً للشعبي والموروث ويعامل معه على أنه ركاب ماض جامد، لا حراك فيه ولا ينسجم مع معطيات العصر وتقنيات الكتابة الحديثة؟.. ما هي انز الموهب التي أهلت الياسري ومكنته من ان يكون احد ابرز كتاب العمود الصحفي لعقدين من الزمن ويقدم اعمالاً روائية بلغة رفيعة يشهد بريادتها وأهميتها اهم كتاب الرواية في العراق الراحل غائب طعمة فرمان. تلك أسئلة عديدة يلقيها المتابع في عملية البحث عن سر تفوق الياسري وتميزه في منهج الكتابة وأسلوبها المنفرد.. لا شك ان عددًا غير قليل

تستبطن كتابات شمران الياسري الرمز، وغالباً ما كان هذا الرمز سياسياً، فلقد كانت مهمة هذا الصحفي الملامع مهمة سياسية، نذر لها دمه وراهن عليها بكل جوارحه ولم يتغذ زيتها حتى يوم وفاته غريباً عن وطنه. نعم.. كانت لديه القدرة العجيبة على استنهاض المثل الشعبي الملائم للحالة الاجتماعية برغم ما كان يتضمّنه أسلوبه من نكهة الهزأ والسخرية، ومن ثم نقلها في انعطافة مرنة نحو الوجد السياسي الذي كان يقض مضجعه. ولنا ان نقسائل هنا، هل كانت سخرية ابو كاطع المعبأة بالحزن والشكوى انعكاساً لموقف عام ينتمى إليه شمران الياسري، كان على الدوام في محنة وطنية بين قوى حليفة ونصف حليفة وأخرى معادية؟

كان شمران الياسري كاتباً صحفياً ملتزماً وجد في الالتزام مهمة وطنية لا يدان عليها الكاتب كما يتراءى لغيره من الكتاب والنقاد، كما فهمه على انه موقف إنساني من المجتمع والحياة وانه لا يتنافى مع الإبداع حينما يكون هذا الأخير فناً. لنا في العودة الى ذكرى شمران الياسري، ابو كاطع عبء تدخل على الدوام في خاتمة المسؤولية الوطنية للحفاظ على ذخيرة تعد ثروة شديدة الغنى.. شديدة الثراء.



سهلة بسيطة لكنها ذات مغزى كبير ومضمون حي، ان روايته (قصية حمزة الخلف).. تعد مرحلة متقدمة في كتابات الياسري الروائية، في معالجتها للواقع السياسي والاجتماعي بلغة ذات حساسية عالية بالتجديد والتخييل، وتكثيف روائي حديث يدفع سردي أخذاً للنفاذ الى اعماق الأشياء. هذه السمات التي طبعت كتابات شمران، جعلتنا نكون أمام تجربة مدروسة بعناية من الصعب على آخرين الوصول اليها ما لم تتوفر لهم أدوات فن شمران وعوالمه الإنسانية الجميلة المطلقة وقدرته على إضفاء الوجود التي عايشها حتى تلك التي كانت سبباً في اضطهاد الفلاحين وسرقة جهودهم ليسترجع من خلالها أدق المشاعر الإنسانية. وثمة ملامح أخرى في منجز شمران الإبداعي تلك التي تتعلق بموقفه الفكري والسياسي، ونعتقد ان احد أسباب نجاحه يعود الى إيمانه بحقيقة نذر شر تحملها طيات عقول الحكام



النزعة الحوارية في رباعية أبو كاطع



ملكية جميع الأراضي في منطقة "البترا". وفي الوقت الذي يروي الجزء الثاني والثالث أحداث الصراع بين الفلاحين والشيوخ الذين تحولوا إلى الملكية الإقطاعية بمساعدة الحكم الأجنبي للبلاد، فإن الجزء الرابع الذي تنتهي أحداثه بعد قيام ثورة تموز ببضعة أعوام تختص علاقات إنتاج شبه رأسمالية. يقول رجل الدين حسن الكريلاشي، في رده على صالح ابو البيئة حين سألته عن أحوال الشيوخ بـ "لقد اجتازوا الأيام العسيرة وخرجوا من المحنة سالمين، وان تكون الأراضي حتى الآن بيد الإصلاح الزراعي، ولكن رجوع الشيخ قالح من بيروت ومعاودته الاتصال بالسؤولين، رفعت عزائم أنصار الشيوخ... وقد توجه ضاري - الله بحفظه- يعد رفع القيود عن أرصدتهم في البنوك الى أعمال التجارة والمقاولات".

وتتنمي الرباعية إلى الرواية متعددة الأصوات، وتروي أحداثها من وجهات نظر متعددة يتم الانتقال في السرد من واحدة إلى أخرى، وثمة وجهات نظر مركزية سائدة في الرواية، ففي الوقت الذي تسود فيه وجهة نظر حسين في الجزء الأول منها أي "الزناد" تسود وجهة نظر خلف بغداد عام ١٩٥٥ و تأميم قناة السويس والعنوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، فتورة تموز عام ١٩٥٨....

ويروي الجزء الأول من الرباعية أحداث استدعاء الحاكم الإنكليزي للشيخ سعدون بن مهلهل وتقديم مضخة مائية زراعية هدية له، فدعت الشيخ الى فرض شروط جديدة وقاسية على الفلاحين وانتهت بخداع هؤلاء الفلاحين وتسجيل أراضيهم باسم الشيخ سعدون، لتتم له

الرواية، هو النسق المعروف في الرواية متعددة الأصوات، فبالرغم من أن المؤلف يقف وراء شخصية معينة هي شخصية "حسين" وأولاده وأحفاده من بعد - فإن منظور هذه الشخصية لا يطغى في الرواية إلى الحد الذي يخضع فيه المنظورات الأخرى، ويهيمن عليها بحيث يصبح منظورا حاكما في الرواية، بل على العكس من ذلك، فإن القاص يسمح لكل المنظورات الأخرى بالبروز بحيث تتصارع هذه المنظورات وتتفاضل في الرواية بطريقة تجعل القارئ حراً في اختيار المنظور الذي يراه صالماً دون تدخل من المؤلف. لقد أشار بعض الباحثين إلى الانحياز الأخلاقي للكاتب إلى جانب فئة اجتماعية هي فئة الفلاحين فليد أشار الباحث "باقر جواد الزجاجي" إلى تصوير الكاتب لظاهرة الفساد والانحلال في أوساط الإقطاعيين، ورأى أن المؤلف ينتقم من هذه الفئة الاجتماعية متأثراً برواية "موسم الهجرة إلى الشمال" التي يدافع مؤلفها بطله مصطفى سعيد "للاتقادم من مستغلي شعبه عن طريق التفوق الجنسي غازيا أوروبا بمغامراته العاطفية".

والواقع أن ليس "حسنة" ابنة الشيخ سعدون هي التي تقبل علاقة غير مشروعة مع احد الفلاحين وتنتهي هذه العلاقة بان تمنح جسدها له لقبيل زواجها بيوم واحد من ابن الشيخ "صالح" بل أن فتيات أخريات من بنات الفلاحين ضمن علاقات عاطفية مع أبناء الفلاحين والظاهرة الالفة للنظر أن بنات الشيوخ يقمن علاقات جسدية لا مشروعة، في حين تقتصر علاقات الفتيات من أسرة "حميد أبو البيئة" على العلاقات العاطفية من دون التورط في المسائل الجسدية.

والحق أن هذا مظهر من مظاهر انحياز الكاتب الأخلاقي الى الفلاحين كما أسلفنا إلا أننا نرى أن تأثير "موسم الهجرة إلى الشمال" في الكاتب خاصة وان دوافع مصطفى سعيد ليست طبقية، وإنما هي قومية وهي فضلنا عن ذلك دوافع تحكمتها العقد المرضية والاتواء النفسي الذي يعترف به مصطفى سعيد نفسه، فالأزمة النفسية والروحية التي يعيشها مصطفى سعيد والتي كانت نتاجا لعصره، كما كانت نتاجا لتكوينه النفسي والاجتماعي - هذه الأزمة عبرت عن نفسها عن طريق اللهاث المسموم وراء الجنس. والأمر في رباعية الياسري، على خلاف ذلك تماما.

أما المظهر الثاني، الذي أشار إليه الباحث فهو انحياز الكاتب الفكري ولا سيما في موقفه من العدوان الثلاثي على مصر وهزيمة هذا العدوان، إذ يرى الباحث أن الكاتب في تصويره لهذا الموضوع لم يلتفت إلى دور الشعب العربي انتفاضة الشعب العربي في العراق تأييدا للثبقة الشعب العربي في مصر، وسجل "يوميات انتفاضة مدينة" الحي الباسلة آنذاك. وبالرغم من انحياز الكاتب الفكري مجمل الصورة وانحيازه أخلاقيا لفئة اجتماعية معينة ضد أخرى، فانه استطاع بالنسبة لأجزاء الصورة أن يحافظ على حياده فكريا وان يبقى بعيداً عن كل شخصياته، تاركاً لها حرية الرأي والتعبير، مبرزاً المواقف والأفكار المتعارضة لهذه الشخصيات. لقد وقف القاص موفاً محايداً من شخصياته، ساعداً لكل وجهات النظر، ولكل الأصوات بالظهور والتعبير عن نفسها. وثمة مواقف كثيرة يتجلى فيها هذا الموقف الذي يتعدى فيه القاص عن شخصياته، ويحافظ على مسافة كبيرة بينه وبينها، وأول هذه المواقف، موقف الفلاح "خلف" من أول قمر صناعي أطلق الى الفضاء عام ١٩٥٧ م، فخلف الذي يردد رفقته الأخيرة على فراش المرض، يفرح لهذا الانجاز، لكن (وهو) المحتضر يتساءل عن الفائدة التي يجلبها له هذا الانجاز الذي لا يستطيع دفع الموت - وشيك الوقوع - عنه يقول الراوي: أعاد خلف تساؤلهم دونما انتظار لإجابة

فرحان، هل يفيدني بشيء كأن يعيد إلى شبابي؟ أو يؤخر موتي؟ هذا ما يفكر اهتمامي الآن... لماذا لا توجه هذه الجهود الضخمة التي أولواها قمرًا يدور بجانب القمر الأزلي الذي خلقه الباري عز وجل - لاستكشاف دواء يطيل عمر الإنسان؟ . ومن هذه المواقف أيضاً، أن يتساءل - مالك الأعتام - صالح أبو البيئة - حين يحرض الملا نعمة الفلاحين على إقامة الدعوى ضد الشيوخ يتساءل عن الفرق بين محكمة "الحي" التي أقامتها سلطات العهد المباد عام ١٩٥٦ م لمحكمة العناصر التي قامت بالانتفاضة الشعبية تأييداً لشعب مصر العربية ضد العدوان وبين المحكمة العليا الخاصة "في بغداد وفي ذلك يقول الراوي: لم يتركه الملا ينعم بهوئه، أخذ ينضح الفلاحين بإقامة الدعوى ضد الشيوخ في محكمة القضاء أو اللواء... فاستاء صالح وخطابه في السر: عدت إلى ما كنت عليه، غلبك طبعك الشرير... ما للفرق بين محكمة الحي ومحكمة بغداد؟ كلها محاكم ومشاكل".

وعندما يسمع "صالح" بان "الملا نعمة" قصد المدينة، وهو يحمل طلباً موقعا من الفلاحين، يتأسيس جمعية تعاونية، فلننا صالح نوعاً من "القيادة" يتذكر سؤال الملا في مجلس قاتحة "خلف" عمن انتخب منهم عائلة الشيوخ وسلطة آل مهلهل، ويتساءل عن الفرق بين السلتين، سلطة آل مهلهل، وسلطة الملا الجديدة: "القيادة" لقد تذكرت أقوال الملا... وصدي كلماته لا يزال في أذني يوم "صوت" على الفلاحين في مجلس قاتحة "خلف": من منكم اختار بيت مهلهل ليكونوا شيوخاً ويملكون الأراضي؟ وهذا هو يأخذ بصمات أصابعهم.. مفرين باختياره قائداً غياده "وربما إقراراً بملكيتك للأرض، والحكومة شاهد على التوافق.. إنها عبودية من نوع جديد، بصمتم أصابعكم أيها الغنم ولا تعرفون النتائج؛ مثل الغنم تماماً".

إن تعدد وجهات النظر في الرواية واحتفاظ المؤلف بمسافة كبيرة بينه وبين شخصوصه، وتعبير هذه الشخصوص عن أصواتها عن طريق خصائصها اللغوية والأسلوبية في الكلام، كل ذلك في رواية البطل فيها جماعة وليس فرداً ليعد بحق تطوراً كبيراً على طريق بناء الرواية متعددة الأصوات، وبالرغم من أن السرد يتم بضمير الشخص الثالث فإن رؤية السارد لشخصياته من الداخل وهي رؤية مجاورة - فضلاً عن الحوار، والحوار الصامت الذي استخدمه الكاتب بصورة واسعة تسهم في كشف الشخصيات وتصورها من الداخل. أما النسق الذي يجري عليه السرد بخصوص وجهات النظر، فإن سرد الأحداث يتم من خلال وجهات النظر المتعددة في الرواية، لا بان يروي كل فصل أو مجموعة من الفصول من خلال وجهة نظر معينة، وبان نرى الأحداث بعيني الكلام، فقد أثرها لا على كلام فاضل أو خطابه فحسب بل وعلى التركيبة الأسلوبية للرواية ككل. فقد استخدم فاضل المعلم طريقتين في أحاديته ورسائله الساخرة، هما التهجين والأسلية. وقد عرف باختين الطريقة والأسلوب الأول أي التهجين بقوله: "انه مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد وهو أيضاً التقاء وعين لسانين مفصولين بحقبية زمنية أو بفارق اجتماعي او بهما معاً، داخل ساحة الملفوظ" ومثال التهجين ما ورد في رسالة "فاضل" إلى عمه "الملا نعمة" إذ جاء فيها:



بسم الله الرحمن الرحيم - من أمير المؤمنين أبو الفضل مسلح الدين الواسطي إلى عامله على ولاية البترا وضيفة العلووة وسكرة مويحلة وديمة خلف ملا نعمة حسين المنتسب لعشائر السياح.

أما بعد احمد الله على أن ولاني أمرك وأودع الأمنين سر،ك، لقد اجتمع مجلس الشورى المنعقد ليلية أمس برئاستي وعضوية الأخ كامل وأمة الله نعتاعة بنت سكر التي هي في الوقت عينه وذاته أمي الحنون.

واستقر الرأي على الآتي : خلاصته يدك في الكتاب ورجلك في الركب، اما تفاصيله فهي:

"كلي يرحم اهلك انت كاطع مهر على البترا، الا يسعد مكان غيرها؟" وفي هذا النص تجتمع لغتان تفصل بينهما حقبية زمنية، اللغة الأولى: هي لغة الدواوين العربية القديمة بخصائصها الأسلوبية المائلة - في السجع - والأخرى لغة معاصرة هي اللغة المحكية. ومن الجدير بالذكر أن الفروق بين التهجين والأسلية هي فروق طفيفة، فلو حذفنا الجملة الأخيرة التي كتب الشطر الأول منها بالعامية لحصلنا على "أسلية" بدلاً من التهجين. إما إذا اجتمعت كلتا الطريقتين، فينتج عنهما عندئذ أسلوب ثالث يطلق عليه باختين مصطلح "التنوع". .والحق أن هذا التهجين يتطوى على سخرية عالية من لغة الدواوين القديمة وأساليبها وهو أنموذج لما يدعوه باختين بالكرتفالية.

ومثال "الاسلية" التي تقوم على تقديم لغة في ضوء لغة أخرى تظل خارج الملفوظ - قول فاضل ساخرًا "الهي وانت القادر القدير...يا من فضلت الحنطة على الشعير.. لقد بعنت إلي رزقا راعيا شيقا وأنا في أعماق هورة البترا، لأتك تعلم اني حرمت على نفسي الشراب الا في المناسبات"

فاللغة هنا هي اللغة المعاصرة ولكنها قدمت في ثوب من الأسلوب العربي القديم في النثر، والذي يعد السجع ابرز معاله.

وأسلوب السخرية الذي يستخدمه فاضل يشيع في كل كلامه، ولا يقتصر على شيء، دون الآخر، فكل موضوع هو لدى فاضل مناسبة للسخرية، حتى وان اتصل هذا الموضوع ببعض المحرمات أو المسائل ذات الطبيعة القدسية.



يوسف العاني

نجم «المقالة المسموعة»!



من الشخصيات الأدبية والاجتماعية والسياسية الحبيبة الى الناس جميعا وعلى مختلف مستوياتهم.. والتي ظلت في القلب والبال والروح.. شمran الياسري، والذي صار اسمه على كل لسان.. «ابو كاطع» لم يكن كاتباً ولا متحدثاً إذاعياً فحسب بل كان في تقديري حالة متميزة.. وظاهرة شاعت في مسار حياة الشعب العراقي، عبر كل موقف يمس معانيتهم سلباً أو إيجاباً فترى وتسمع كلمات ذاك الريفي البسيط المشحون أمانة واحساساً وشرفاً وكرامة لا تقبل ان يقترب سوء أو الجور أو الظلم منها، كلمات الكائن.. بل تسمع احياناً إيقاعها فينتفض لحنا بلا كلمات لكنه في الأصل كلمات تتجمع وفق سياق غير تقليدي ليرت اكم معنى ينفذ الى الهدف فتفتتح عبره الأذان والعيون من خلال الكلمات مكتوبة او مسموعة.

شمران.. جاءنا محملاً بحماسة نظيفة كريمة كالعنبر وادعة كرقعة الملائكة شامخة كنبيل البطولة.. ولم يكن مدعياً ولا متباهياً.. بل إنساناً يسير مع السائرين في درب كفاح الشرفاء الياسلين بلا طلب لجاه او موقع أو «عوض» مادي.. عاشى كما الآخرون وراح- دون ان يدري- كما سبقه عباقرة عراقيون في ميدان مخاطبة الناس بالقلم المقروء او لا.. بالقلم المسموع ثانياً حيث دخل.. «ستوديو الاذاعة» ليكون حديثه ليس حديثاً بل ضربيات تؤذي ولا تؤذي توقط ولا تتخذش الا أصحاب الشرر والعابثين بقوت ومصائر الناس مواعهم الشريفة، بشرأ ايجيا بسعادة وراحة بال وللمداعبة المائعة..



يوسف العاني

ابو كاطع والاحتجاج وحكايات خلف الدواح

اعداد / عراقيون

الازدواجية في المعايير وعدم المساواة، واحدة من القضايا التي ظل ابو كاطع يؤشرها في الصحافة وفي مجالسه.. وقد استخدمها للتعبير عن الاحتجاج الذي لازمه طوال حياته، ليعيش منسجماً مع نفسه، وهو مستعد لأن يضرب مثلاً بنفسه، أو بصديقه خلف: «زارني خلف الدواح ضحى، في إدارة الجريدة، وجلس كعادته دون كلفة، قدمت له سيكارة وأشعلت واحدة لنفسى، ثم انصرفتُ للكتابة غير متحرّج من إعراضى عنه، وبعد قليل رفعت عيني عن الورقة وابتسمت له، لكسر حدّة الصمت، فحرك رأسه حركة مألوفة لي، وأجاب عن ابتسامتي بأحسن منها، ثم نفخ سيكارته دون عناية فسقط رماها على المعبد.. اغتنمتها فرصة لمناكدته وقلت: والله مشكله.. المعبيد ما اتصيرله چاره! غير حاطين جدّامك نفاضه، ليش تنفض رماذ جكارتك على القفّه؟! ضحك خلف وقال: من أول ما ورّثت جكارتك لهسه، فاطنلك، واشوفك كلما تجذب نفس تنفضها على اچتافك، هم موش على السكملي! وانت جدّامك نفاضه أكبر.. ردت اكله.. وتالي شاورت روجي وكتلت خايب خلف انظّل طول عمرك شرّاري طلايپ؟!هسه ما دام انت بديتها وعابتتي، لازم اكل: علم روحك بالله تحجي على الوادم! قلت متصنعا الجد:!! أنه وخذ وانت وخذ.. أنه اكتب ومشغول فكري بالكتابه.. انت شنهو عنرك؟ قهقهه خلف الدواح منتشياً وقال: سالفك مثل

سالفه شيخ جعلوط.. يوم من الايام، قطع عكله ايسوي سناين للعشيرة.. جمع كل رؤساء الافخاذ ومذاريب العشيرة.. كاللهم: كثرت طلايب العشيرة ومشاكلها، وارياد اسوي سناين مكتوبة، حتى تنضب. صبحوا للملا يكتب المضبته.. بدأ شيخ جعلوط يعلى على الملا بنود المضبته: أول شى، البيوك كرابيه ترجع البوكه امربعه، ثاني شى اليصوب ابن عمه هيچ عقوبته.. واللى.. واللى.. ما اطولها عليك، سواها سير وسريده، وأخر شى التفت جعلوط للملا وقال: اكتب ياملا.. اكتب: او لادي واولاد اخوي ما تسلمهم هاي الشروط! × × × منذ مئة عام تقريباً، وفي مكان منعزل من هور الجبايش عائش الرجل المسمى (شيخ دبس) في سنّف عامر برعاة الجاموس والصيدين.. وقد جمع شيخ دبس كل السلطات بين يديه، يساعده في ذلك (مذروب السلف). وقد وضع الشيخ قواعداً لحياة السلف عدت أشبه بالقوانين فيما بعد، واختار لها صياغات محكمة، حتى يسهل استظهارها وتداولها. أنكر منها قوله حول ميراث الميت: (ثلث لشيخ دبس. وثلث لمذروب السلف.. وثلث للقصر الأيتام)؛ ومنها قوله في الصيد: (لو صدت بُنيّة وسبّوط، الخيار لشيخ دبس. ولو صدت حُرّة وجوشمه كلن يندل امله الحرة للحر؛ والجوشمه للصيد). ومن حين لأخر يبيع بضعة أترع في الجنة، لبعض العجانن، والشيوخ مقابل (طاسة روبه) أو (دالوجة) زيد.. وعلى العموم فقد كان الشيخ،

شمران الياسري (أبو كاطع) رحيل في غير أوانه

كريم راهي

الجديدة التي ترأس تحريرها لفترة، وجريدتي الفكر الجديد والتأخي، ثم طريق الشعب التي عاود فيها كتابة عموده اليومي الساخر (بصراحة أبو كاطع)، منذ عام ١٩٧٣ لغاية اغلاقها ١٩٧٩.

خلف الدواح

وكان بطلها شخص يدعى (خلف الدواح) وهو فئاع كان يتخفى وراءه كي يمكن له أن يقول من خلاله ما يُراد منه الإشارة إلى نقد الوضع السياسي الكائن آنذاك، وكثيراً ما تسببت هذه الشخصية بمتاعب تجرّ وياقتها على الجريدة وصاحب الشأن. فكانت التحذيرات الرسمية تترى، والصحف السوداء تنصّد للرد على تلك المواضع. كتب أبو كاطع في الرواية رباعية صدر أولها عام ١٩٧٢، وتوالى صدور باقي الأجزاء ليكون بذلك أول رواياتي عراقية يكتب باللهجة المحكية عن ريف الوسط والجنوب، كانت عناوينها على التوالي: الزنا، بلايوش دنيا، غنم الشيوخ، وفلوس احميد، وكانت تُورّخ لتطوّر الوعي السياسي في ريف العراق من بداية تأسيس الدولة ولغاية الحكم الجمهوري.

مدرسة في الكتابة

لقد خلق عمود (أبو كاطع)، برغم اختزاله، مدرسة في الكتابة الصحفية تميّزت بالمزج مابين الحدث الأني والحكاية الشعبية، بين المرئي والمخيّل، بين الحاضر وما يجب أن يكون عليه، بروح ثورية تصل غايتها في نفوس قرائه بسهولة ويسر. فيما كانت تشدّد ضدّ الأرقام المأجورة، للتقليل من شأن ما يكتب بحجة كونه عموداً صغير الحجم وكان يؤخذ عليه أنه غير مكتوب بلغة (المثقفين)، ففرد عليهم أبو كاطع بحكاية صغيرة على لسان (خلف الدواح) ستخسرهم إلى الأبد، حكاية أتذكر أن عنوانها (البطة وأبو الزعر) أذكر منها أن البطة فيما كانت تتبختر في مشيها على الحشائش، فقز أبو الزعر (وهو طائر صغير الحجم جدّاً) وصاح بها محذراً إياها أن تدوس على بيضاتها فتتشمها، فضحكت البطة من كلامه وهزّت (بيدها) قائلة: تهيّ بيهي، هو انه نفسك بالعين متنشاف، لعد بيضاك شكبرهن؟ فأجابها الطائر المكتوب في الحال: هذني البيضاات اللي تشوفين وحدتهن بكد الحضاية وتستهزئين بيهن، والله لو تدرين شلون عيوني يصيرن ارباع ارباع بن أبيضهن!

رحل شمران الياسري، وترك إرثاً عظيماً من الحكايات والأعمال الأدبية الأخرى، قد يكون من حسن حظ العراقيين أنها متوفرة لأن، وتسجل رقماً لا يستهان به في المبيعات. فقد صدرت حكاياته عن خلف الدواح في طبعيتين مختلفتين، وأعيدت طباعة رباعيته مرّات، فيما بقي محتواه يتطوّر لإعادة طباعة رواية (قضية حمزة الخلف) التي لم تتل حظها كباقي أعماله.

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فكري لير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: حيدر الكواز

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadhasupplements.com

أبو كاطع

في ساحة التحرير

وأخيرا وبعد غربة قاربت الأربعين عاما يعود شمran الياسري «أبو كاطع» إلى بغداد، في وقت نحن بأمس الحاجة إلى نموذج نقي ووطني، يعلم شباب الاحتجاج، قيمة الكلمة الصادقة.. واهمية ان تنطلق اصواتهم عاليا رفضا للطائفية والمحاصصة والاستبداد والانتهازية.. نتذكر ابو كاطع اليوم ونتمنى لو توزع كلماته على العراقيين ليتعرفوا على معاني الكلمات الصادقة والمخلصة.

علي حسين

مهاراتهم في الانتهازية من أجل الاقتراب من جيوب المسؤولين. إن بعض ما نقرأه هذه الأيام يدفعنا للإحساس بالخوف على مهنة الإعلام، من الذين لا يعرفون أن ممارسة الحرية تعني بالدرجة الأولى حرية الضمير، وأن الرأي يعني شراكة حتى مع الذين نختلف معهم، وأن الشجاعة يجب أن تتحصن بمستوى أخلاقي غير قابل للمساومة. عاش ابو كاطع وناضل وهو يدرك أن له دوراً في بلاده، وأن عليه أن يؤدي هذا الدور، حتى وإن كان الثمن حياته التي نهبها منه في الغربة.. اليوم تنبت كلمات ابو كاطع زهوراً من صبيان وفتيات يلونون ساحات العراق بألوان الاحتجاج.

والوصولية. الحنين إلى أبو كاطع وزمانه ليس وقفاً على الأطلال، بل عودة لقيمة النضال في سبيل المبادئ، في زمن تجتاحه الوصولية، وشخصيات انتهازية تريد أن تقبض ثمن إقامتها في العراق وبال دولار. دفع أبو كاطع ثمناً غالياً وهو يتصدى للذين يريدون نشر الجهل والخراب، خسر عملاً ووطناً وأهلاً، لكنه ظل صامداً يدافع عن رأيه، لأنه شعر أن الوطن بحاجة إلى موقف وطني وأن الإنسان ما هو إلا موقف. اليوم حين استذكر مآثر أبو كاطع أنظر حولي لأرى الصحافة العراقية، وقد امتلأت بجيش من المتسولين يطالبون ولو بربع فرصة لإظهار

منفعة.. ولم يقف على أبواب الحكام يستجدي العطف والرضا والمنح.. كان متاحاً أمام شمran الياسري، أن يعيش في أمان واطمئنان وأن يحصل على أعلى المناصب فقط لو منح ضميره إجازة دائمة.. غير أنه كان عصياً على الإغراء، مترفعاً عن استجداء السلطة، مدركاً بحسه المهني والإنساني الشديد الوطنية والنقاء أن مملكته الحقيقية ليست مع السلطة وإنما مع قراء يشاركونه الحلم بوطن أكثر بهاءً وجمالاً.. قبل ٣٨ عاماً رحل زعيم العمود الساخر الذي لم ينازعه على مملكته ووطنيته وإخلاصه لمهنته أحد، كل ما سطره في محاربة الجهل والاستبداد، يطوى سريعاً لتحل مكانه الانتهازية

ربما يحتاج كثير من كتاب هذه الأيام إلى أن يقرأوا كتابات «أبو كاطع»، ليعرفوا كيف يمكن للكلمات أن تكون مهنية ومحترمة، فقبل عقود من هذا التاريخ كان العراقيون ينتظرون «صراحة» أبو كاطع على الأرصفة لينطلقوا معها وبها في سحر ونقاوة الكلمة. كانت الناس تعرف أن كاتبها المفضل لم يطأطئ رأسه لمسؤول أو منصب أو منفعة، فقد كان وفيًا لما يكتب، قابضاً على جمر مبادئه، مكرساً حياته للكلمة النظيفية المتجردة من كل غرض أو

عراقيون

